الأستاذ: ناعم هشام

المقياس: أسلوبية وتحليل خطاب

السنة: الثانية ليسانس

النوع: تطبيق

الفوج: 9 و 13 و 15

مفهوم الأسلوب

يعد الأسلوب في عرف الأسلوبيين استخداما لغويا خاصا للغة ، واستخداما لإمكاناتها الصوتية والصرفية والنحوية لإعطاء دلالات خاصة ، غير أن هذا الاستخدام اختلف الأسلوبيون في تعريفه ، فليس هناك تعريف محدد ؛ بل كل تعريف يمثل منهجا واتجاها خاصا ...ولذلك فإن تقديم أي تعريف دقيق للأسلوب إنما هو اختبار لصلابة مناهج علم الأسلوب وسلامة أدواته ...وهي مناهج تراكمية لا تبادلية

لكن يمكن تمييز عدة تعريفات للأسلوب حسب عناصر الاتصال : المبدع والرسالة والمتلقي ، وهي تعريفات تميزت في الأسلوبية ...فبالنظر إلى المبدع أمكن اعتبار الأسلوب اختيارا ، وبالنظر إلى المتلقي أمكن اعتبار الأسلوب قوة ضاغطة على حساسية القارئ ، وبالنظر إلى الرسالة يعتبر الأسلوب انحرافا لغويا أو إضافة أو تضمينا .

١- الأسلوب اختيار أو انتقاء للمنشئ (المبدع) :

ترى بعض المناهج الأسلوبية أن الأسلوب هو اختيار لغوي أو انتقاء لغوي يقوم به الكاتب لسمات وعناصر لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين ، وهو انتقاء نحوي أي اختيار للغة بقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ونظم الجمل لأداء موقف فكري معين ، ويتوافق هذا الاختيار مع اعتبار الأدب تعبيرا عن ذات المبدع وعواطفه وأفكاره وآرائه عند الرومانسيين ، وتؤيد هذا مقالة بوفون في خطابه عن الأسلوب ، وقوله : " أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه " ، ويقصد بقوله أن الأسلوب هو اللغة التي تعبر عن أفكار الإنسان وعواطفه

ومن هنا انتقل الأسلوب عند هؤلاء الأسلوبيين إلى نطاق علم النفس الفردي ، وجعل مقولة الأسلوب تشير إلى شخصية مؤلف النص وخواصه الشخصية .وإن الأسلوب – في هذا المفهوم – يركن على تعريفه من قبل صلته بالمرسل وهو أحد عناصر عملية الاتصال ...

ومن الأمثلة التي توضح ذلك قول بشار

وكنا إذا دب العدو لسخطنا ... وراقبنا في ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكل مثقف ... وأبيض تستسقي الدماء مضاربه

وجيش كجنح الليل يرجف بالحصا ... وبالشول والخطي حمر ثعالبه

غدونا له والشمس في خدر أمها ... تطالعنا والظل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ... وتدرك من نجا الفرار مثالبه

كأن مثار النقع فوق رؤسهم ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

بعثنا له موت الفجاءة إننا ... بنو الملك خفاق علينا سبائبه

ففي هذه الأبيات يفتخر الشاعر بروان بن محمد الخليفة الأموي الأخير وانتصاره على عدوه قائلا : إذا ما سار العدو إلينا خفية ، ويراقبنا من حيث لا نراقبه ، خرجنا له جحفرة في وضح النهار ...نحمل رماحنا المثقفة المسنونة وسيوفنا تتلهف على دمائهم ونحن ظمأى لسفكها .

كان جيش العدو كثير العدد يبدو كظلمة ليل في أفق الصحراء من كثرة النوق المهزولة الضامرة وما تحمله من عدد ، وكأنها نساء حوامل تجر أرجلها على الأرض ، ومن كثرة رماحه الخطية ، ومن كثرة عدده ...خرجنا له في الصباح الباكر قبل أن تطلع الشمس ، ويذوب الطل على أشجاره ...فهاجمنا الجيش ، وأمعنا فيه القتل والضرب ؛ فمات منه عدد كبير ، كل من ضرب مات ، ومن فر لحقه عار الهزيمة .وبدا مكان المعركة من كثرة ما فيه من غبار ، ومن كثرة ما فيه من سيوف متهاوية كالليل الذي سقطت كواكبه ...لقد هزمنا العدو ، وألحقنا به هزيمة منكرة ، ورفعنا أعلام النصر ، فنحن دائما أبناء الملوك وورثتها .

إن الأسلوب في هذه القطعة الشعرية يتمثل في اختيار الشاعر ما يعبر عن إعجاب وفخر وزهو بالنصر ، فهو يختار من القطاع الرأسي للمعجم ألفاظا دون غيرها ؛ فيختار لخروج العدو كلمة : دب ، وراقبنا لكي يبين خزي العدو واحتقاره له ...ويختار للتعبير عن جيشه كلمات : جهرا ، أبيض ....، و لحظة طلوع الشمس مما يدل على الشجاعة وعدم الخوف من العدو ، ويذكر الأسلحة التي يقاتلون بها ومدح هذه الأسلحة ، واختار كلمة (مثقف) ليدل كثرة استعماله وسرعته في القتل

، واختار كلمة أبيض ليدل على نظافته ومضائه في القتل .

وكذلك اختار من الجمل ما يتناسب مع طريقة افتخاره ... ففي البيتين الأول والثاني : اختار الجمل الشرطية التي تعبر عن الاستمرار في مواجهة العدو بالحزم والقوة والشدة . وفي وصف الجيش استخدم الجملة الإسمية لإثبات قوة الجيش ، وفي وصف معاملتهم للجيش استخدم الجملة الفعلية التي تدل على الحركة ، وكل هذا إنما هو اختيار على المستوى الأفقي ...

أي أن الشاعر اختار من المعجم الشعري ومن الجملة ، وكذلك من الصورة الشعرية في كلمة : (تستسقي الدماء مضاربه) ما يعبر عن فخره واعتزازه بقوة جيش مروان بن محمد ...أي أن الأسلوب هنا – والذي بدا في الأبيات – إنما هو اختيار الشاعر على مستويي : الكلمة والجملة للتعبير عما في نفسه من فخر وغيره .

٢- الأسلوب قوة ضاغطة على حساسية القارئ :

يركز بعض الأسلوبيين على أن الأسلوب من خلال النظر إلى عنصر القارئ وردود أفعاله ، وإثارة انتباهه ، فيرون أن الأسلوب هو استخدام عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا ووجدانيا على المستمع أو القارئ .

ومهمة علم الأسلوب هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكل نظام الرسائل اللغوية المعبرة ... أي يدرس العناصر التعبيرية للغة من وجهة نظر فحواها التأثيري عند المتلقي ، أي التعبير عن الحساسية من خلال اللغة ، وفاعلية اللغة على هذه الحساسية ؛ ولذلك يرى ريفاتير أن موضوعية البحث الأسلوبي تنبع من الأحكام التي يبديها القارئ حول النص ، وربطها بالمنبهات المسببة لها والكامنة في قلب النص

وقد اهتمت نظرية التخييل الشعري عند الفلاسفة المسلمين بهذا الجانب ، ووصلت قمة نضجها البلاغـــي في كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لأبي الحسن حازم القرطاجني

وخلاصة القول : إن الأسلوب من هذه الوجهة ، إنما هو استخدام لغوي خاص يثير عواطف القارئ ، ويؤثر فيه وجدانيا وسلوكيا . ولو نظرنا في الأبيات السابقة لوجدنا أن اختيارات الشاعر لمفرداته تثير الحميـــة في المتلقي ...فقد اختار الشاعر من المفردات : غدونا ، بضرب يذوق الموت ، بعثنا ، موت الفجاءة ، بنو الملك ، مثقف ، أبيض ... وكل هذه المفردات تعطيك قوة في الحركة وشدة في البأس تثير الحمية والحماس ،وتجعل المتلقي يتخيل موقف الحرب وكأنه واحد أجزائها ، كما اختار الشاعر من الصور الخيالية ما يثير المتلقي أيضا كقوله : ذاق طعمه ، فجعل للموت طعما ، وقوله : تدرك من نجا الفرار مثالبه ، تستسقي الـــدماء مـــضاربه ...وكلها تصويرات استعارية تشخص المعنوي ،و وتجسده فتثير حماسا عند المتلقي والسامع .

٣- الأسلوب انحراف لغوي أو مفارقة لغوية لنمط لغوي :

نظر بعض الأسلوبيين إلى الأسلوب على أنه انحراف لغوي نصي بعيد عن المؤلف والمتلقي ذو سمـــات لغويـــة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية منحرفا أو مفارقا لنموذج آخر من الاستخدام اللغوي ، وذو سمات معيارية ، ومسوغ المقارنة بين النص المفارق المنحرف والنص الأصلي النمطي هو تماثل السياق في كل منهما .

ويعتبر هذا الاتجاه أن اللغة لها استخدامان :

الأول : عادي : يتمثل في الاستخدام العادي للغة صوتيا ونحويا وصرفيا ودلاليا .

الثاني : فني : وهو يتمثل في الاستخدام المنحرف أو المفارق للأول ، وهو انحراف قد يطرأ على قواعد النمط الأول العادي في والصوت والصرف والتركيب والدلالة ، ويتضمن : استخدام المفردات التصويرية ، وكذلك أنواع المجاز من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز ، وكذلك استخدام الجملة متوخيا حالات التقـــديم والتـــأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير ، وكذلك الاستخدمات الخاصة لأساليب الأمر والنهي والاســـتفهام ، وربطها مع بعضها بطرق الفصل والوصل ما ينحرف عن الاستخدام العادي للغة .

ويعد هذا الاتجاه في النظر إلى الأسلوب كانحراف ...من اتجاهات البنيويين الذين يركزون دراساتهم علـــى النص منفصلا عن المؤلف والمتلقي ...ونجد أمثلة لهذا الاتجاه في الموازنات بين الشعراء في تراثنا العـــربي عند الآمدي والقاضي الجرجاني .

٤ – الأسلوب إضافة :

يرى بعض اللغويين من أصحاب الاتجاهات اللغوية التى تفصل النص عن مؤلفه وقارئه أن الأسلوب هو إضافة استخدام لغوى معين ، وأن هذا الاستخدام يفترض وجود تعبير محايد ، وهو استخدام لغوي آخر لا يتسم بأي سمة أسلوبية محددة ، ويطلقون عليه التعبير غير المؤسلب (المتأسلب) ، ومن هناء يكون الأسلوب الأدبي هو سمات أسلوبية لغوية تضاف إلى هذا التعبير المحايد ، لكي تنحو به منحاً خاصاً موافقاً للعبارة عن سياقه وينشأ عن هذا المفهوم وجود أسلوبين فى العبارة أو استخدامين لغويين :-

(أ) أسلوب محايد أو غير متأسلب : يقوم الباحث بعزل السمات الأسلوبية فى العبارة ليصل إليه ، وهو الاستخدام اللغوي النمطي الذي يساير ويتوافق ويتطابق مع دلالات القاموس الوضعية ، فنجد كل كلمة توافق معناها القاموسى ، ويتطابق تماماً من حيث تركيب المفردات مع الاستخدام النحوي الأساسي عند النحاه ، مثل أن تبدأ الجملة بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول ثم المجروران ، أو تبدأ الجملة بالمبتدأ ثم الخبر ثم المكملات أى لا تقديم ولاتأخير ولا حذف ، وهذا الأسلوب هو الأسلوب النمطى العادي الذى لا يحتوى على صور خيالية أو تنويعات حسب علم المعاني .

(ب) أسلوب متأسلب : هو الاستخدام اللغوى المغاير والمضاف إلى العبارة غير المتأسلبة ، وهو ما يراه الباحث فى العبارة من استخدام لغوي مفارق للنمط العادي ؛ وذلك أن تكون العبارة أو القصيدة مليئة بالصور الخيالية كالتشبيه والاستعارة والمجاز ، فتحتاج إلى فهم معانيها بالقراءة الدقيقة المتأنية بعد أن تعود إلى القواميس ، فنجد أن دلالات الألفاظ تخرج عن الدلالات القاموسية إلى دلالات مجازية ، وكذلك تخرج الجمل عن ترتيبها النمطي النحوى ، كأن يقدم المفعول على جملته ، أو تقدم المجرورات على الجملة ، أو يحدث فى الجملة حذف أو تكرار ...وهو ما يخالف النمط النحوي السليم وهذا الأسلوب هو الذي نصطدم به عند قراءة أى قصيدة ونبحث له عن أسلوبه النمطي .

ففي قصيدة بشار السابقة نجد أن بشار يستخدم الطريقتين السابقتين ، فهو يستخدم الأسلوب الأدبي باعتباره أضافة إلى الأسلوب غير الأدبي ، أى يستخدم الأسلوب المتأسلب بالإضافه إلى الأسلوب غير المتأسلب ، ففي القصيدة نجد أنه يستخدم الألفاظ في غير دلالاتها القاموسية كأن يستخدم كلمة (يستسقي) فى جملة : وأبيض تستقى الدماء مضاربه ... ولا يقصد بها الشرب الحقيقي ، وهو معناها القاموسي ، وإنما يقصد سفك الدماء وأراقتها ، وفى هذه الجملة نجد أن أسلوبها المتأسلب هو : وأبيض تستقي الدماء مضاربه ، أما أسلوبها غير المتأسلب فهو : سيف أبيض تسفك مضاربه الدماء .

وفي هذه الجملة أيضا نجد أنه حذف كلمة (سيف) ، واكتفى بأبيض بل هي كناية عن السيف ، وجاء بتقديم المفعول على الفاعل ، فقدم المفعول الدماء على الفاعل (مضاربه) ، وجاءت هذه الجملة فى سياق جملة شرط كبرى فى البيتين الأول والثاني ...ويعد الاستخدام اللغوي فى الجمله غير المتأسلب .

وكذلك فى البيت الثالث فى قوله :

وجيش كجنح الليل يرجف بالحصا وبالشول والخطي حمر ثعالبه

فالكلمات (يرجف ، والشوال ، والخطي ، وثعالبه) ...جاءت على غير معانيها القاموسية ، وكذلك كلمة (جنح الليل) جاءت للتشبيه ، وجاءت الجملة بادئة بالنكرة ، والجملة لا تبدأ بالنكرة فى النحو اللغوي العربى ، وقدم (جنح الليل) على الجملة الفعلية (يرجف) التى تقع خبراً دلالة على زيادة عدد الجيش وكثرته ، وتنكير المبتدأ هنا جاء لضرورة التعظيم ، وكل هذا مع تعدد الخبر (يرجف بالحصا) وكذلك (حمر ثعالبه) والتنكير والتقديم يعد خروجاً على النمط النحوي المعروف أو الغير متأسلب .

إن هذا الاستخدام اللغوي للألفاظ فى غير دلالاتها القاموسية ، وكذلك استخدام الترتيب النحوي غير النمطي هو استخدامتأسلب أو أسلوب أدبي ، وعند إعادة هذا الاستخدام اللغوي إلى نمطه الأصلي نقول : إن النمط الأصلي هنا هو الأسلوب غير المتأسلب

٥- الأسلوب تضمن :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأسلوب هو سمات لغوية تتضمن فى ذاتها قيمة أسلوبية معينة أي استخداما لغويا آخر ، وتستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف ، وتتغير هذه القيمة الأسلوبية بتغير البيئة أو الموقف الذى تعبر عنه ، ويعني هذا أن هناك استخدامين لغويين :

الأول : قديم متوارث . والثاني :جديد يتضمن الأول يزيد عليه .

و يعني هذا أن كل قصيدة شعرية تحتوى استخدامين لغويين استخداماً قديماً واستخداماً جديداً .يبدو الاستخدام القديم في الجمل التى استخدمها الشعراء الأقدمون ، فالشاعر يحاول أن يعبر عن معانيه ، فيستفيد ويقلد – بعض الأحيان – شعراء سبقوه ، ويضيف هو عليهم استخداماً جديداً ...فالشاعر بشار في وصفه للجيش جيش العدو حاول أن يقلد أو يستفيد من القصائد التى وصفت جيش العدو قبل ذلك ، ولو نظرنا وقارنا بين وصف بشار لجيش العدو ووصف الأعشى لجيش الفرس فى معركة ذي قار لوجدنا ذلك .

****

عندما نتأمل المفاهيم الخمسة السابقة للأسلوب نجد :

** أن الاتجاه الأول يركز على الأسلوب من وجهة نظر تتأمل صلته بالمؤلف أى من وجهة نظر المؤلف ...

** وأن التجاه الثاني يركز على الأسلوب من وجهة نظر تتامل صلته بالمتلقي ...

** وأن الاتجاهات الثلاثة الأخيرة (الثالث والرابع والخامس) تركز على الأسلوب من وجهة نظر تتأمل صلته بالنص الأدبي بعيداً عن المؤلف والمتلقي ، والاتجاهات الثلاثة الأخيرة فى مجملها متكاملة فى تركيزها على النص الأدبي ...

أ- فإذا تحدد النمط المعيارى الداخل فى المقارنة استطعنا أن نتعرف على النص المفارق أو المخالف أو المنحرف لهذا النمط المعيارى ، إذا ما اعتبرنا أن الأسلوب انحراف عن النمط المعيارى ...

ب- وإذا نظرنا إلى النمط المعيارى على أنه نمط محايد أسلوبياً ...فإننا نستطيع أن نتعرف بالمقارنة إليه على النمط المتأسلب عند من يرون أن الأسلوب إضافة .

ج- وإذا تعرفنا على النمط المعياري بالاستعانة بالعلاقات السياقية المتعددة المرتبطة به ، والتي تسوغ عملية المقارنة بينه وبين النص المراد دراسته ، فإن المقارنة فى هذه الحالة ستكون بين السمات التى يشتمل عليها كل من النص النمطى أو المعياري والنص الأسلوبي نقارن بينهما وبين بيناتهما وسياقاتهما .

ويمكن تحديد عدد من الشروط التى إذا ما توافرت فى أى استخدام نحوى أو لغوي يعد أسلوباً قابلاً للدراسة :

(١) أن يكون قادراً على وصف التنوع فى استخدام اللغة ، وأن يسمح بوصف وتصنيف تنظيمى للسياق الذى يتحدد به الاستعمال ، أى يكون منوعاً للغة المستعملة فى المفردات والجمل والتراكيب والصورة الخيالية

، فيشتمل النص على : مفردات متنوعة تستخدم معجمياً وسياقياً بدلالات متعددة ، ومشتملة على تراكيب جملية تتنوع مابين الجمل الفعلية والاسمية والشرطية والبسيطة و المركبة والمعقدة ، وتسمح هذه الاستخدامات بالوصف والتنظيم ضمن سياقات لغوية أو سياقات خارج اللغة .

(٢) أن تتوافر فى الأسلوب صفة الانسجام ، وعلى أساسها يمكن وصف كل ما فى النص من استخدام ، ويمكن التمييز بهذا الطريقة بين نمطين من الاستخدام هما : النمط المعياري ، والنمط الأسلوبى أو النمط المتأسلب والنمط غير المتأسلب .

(٣) أن يكون الأسلوب وافياً بالمراد منه ، ويمكن أن يوصف من خلاله جميع الاستخدامات الأسلوبية التى تنطبق على أى نص

ونخلص الآن إلى أن الأسلوب إنما هو استخدام لغوي متنوع مبدع تتوافر فيه اختيارات خاصة للمفرد والجملة والصورة والموسيقى والدلالة والرؤية ، تجعله يختلف عن الاستخدام العادى للغة العادية ، ويعكس أو يعبر عن قائله ومبدعه ، ويتأثر ويؤثر فى المتلقى ، ويخرج فى النهاية بشكل بنائى يميزه عن غيره من الاستخدامات النمطية العادية فى اللغة .

وقد بدا لنا أن مفهوم الأاسلوب هنا مفهوم منظم يرتبط بالنص والمبدع والمتلقي والسياق ، ويفرض هذا التنظيم على الناقد والمتخصص أن يتناول النص بكامله ، وبما حوله من سياق اجتماعي أو تاريخي أو ثقافي ، دون أن يفصل النص عن مبدعه أو متلقيه ، كما يتيح هذا التنظيم أن يستغل الناقد ما درس فى البلاغة من علوم المعاني والبيان والبديع باعتبارها كلا واحداً ، وليست أجزاءاً منفصلة تتنسق وتنتظم على معالجة الأصوات من حيث التحسين والتقبيح ، كما فى المحسنات اللفظية فى علم البديع ، وتعايش الكلمة من حيث التحسين ، كما فى المحسنات المعنوية فى علم البديع ، وكما فى تنويع الصورة واستخدامها بين التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية فى علم البيان ، ويمثل هذا الاختيار الرأسي

وكذلك يتناول استخدامات اللغة على مستوى التركيب فى الجملة الواحدة ، وما يحدث لها وفيها من تقديم أو تأخير أو حذف أو ذكر أو تعريف أو تنكير فى كلماتها ، وما يحدث لها من تنوع فى تراكيبها بين الخبر والإنشاء فى أساليب الأمر والنهي والاستفهام ، وكذلك ما يطرأ للجملة من قصر وما يصلها بغيرها من جمل النص من فصل أو وصل أو إيجاز أو إطناب أو مساواة وهو مايدرس فى علم المعاني .

ثم ربط هذا كله بالمبدع وما يعبر عنه من حالات نفسية ووجدانية ، وما يتأثر به المتلقي ويفرضه على المبدع ضمنياً فى لحظة تأليف المبدع لإبداعه وتوصيله لرؤيته وتعبيره عن ذاته ، وربط ذلك أيضاً كله بالسياق المحيط بالعملية الإبداعية من ظروف اجتماعية أو تاريخية أو غيرها .

وعلى هذا فقد تناولنا فى هذا الاتجاه الغربي : عناصر الاتصال فى العملية الكلامية أو الإبداعية ، ومايترتب على كلٌ منها من وظيفة ، ثم مفهوم الأسلوب وصلته بكل عنصر منها .